

السيرة النبوية في فكر العلامة محمد اقبال

The Prophetic Seerah in Allama Muhammad Iqbal's Thought

أ.د. محمد العربي بوعزيزي

أستاذ متميز للتعليم العالي بجامعة الزيتونة تونس.

bouazizi.mohamed@ymail.com

Abstract

This research article explores the Seerah of The Prophet Muhammad SAW in the thought of Allama Muhammad Iqbal (1877-1938), the renowned Pakistani philosopher, poet, and reformer. The study highlights Iqbal's unique approach to Seerah, which distinguishes him from traditional Seerah Writers and poets like Al-Busiri and Ahmed Shawqi who focused primarily on chronological narratives. Iqbal, through his poetic works and philosophical lectures, adopted an introspective and deductive methodology, utilizing pivotal events of the Prophet's life—such as the birth, revelation, migration (Hijrah), and Ascension (Mi'raj)—to address the contemporary crises of the Muslim Ummah. The article delves into Iqbal's practical Sufism, rooted in his pious upbringing, which emphasizes soul purification, active struggle, and the rejection of passive monasticism. Furthermore, it examines Iqbal's profound love and poetic praise for Prophet Muhammad (PBUH), illustrating how he viewed the Prophetic mission as a catalyst for social reform, liberation from colonialism, and civilizational awakening.

Keywords: Allama Muhammad Iqbal, Prophetic Biography (Seerah), Practical Sufism, Intellectual Reform, Pivotal Events (Hijrah, Mi'raj), Muslim Ummah Awakening, Poetic Praise (Na'at)

مقدمة

من المعلوم أن السيرة النبوية هي مجموعة الأحداث والوقائع المتصلة بحياة النبي محمد صلى الله عليه وسلم من ولادته حتى ارتقائه الى الرفيق الأعلى ، فضلا عن صفاته الخلقية والخلقية ، وغزواته ، وسراياه ، وأقواله ، وأفعاله ، وتقريراته . وتتجلى أهمية السيرة النبوية في كونها المصدر الأساسي لفهم شخصية النبي المصطفى عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم ، و تفسير القرآن الكريم ، وتقديم عملياً

لمبادئ الإسلام السمحة سواء تعلق الأمر بتفاصيل العقائد أو العبادات أو المعاملات أو الأخلاق. هذا وتتميز السيرة النبوية بدقتها وشمولها واستيعابها لدقائق حياة المصطفى في تفاصيلها وملامحها. ولما كانت الحالة تلك فان المسلمين يحتاجون الى سيرة النبي المصطفى في كل حين وكل عصر وكل جيل ، وأما كلما تقادم الزمان بدت مواكبة لقضايا العصر ومستجداته، نافذة الى كل تفاصيله لمعالجتها وإيجاد الحلول لها مهما كانت شائكة . فالسيرة النبوية بناء على كل ذلك تسهم اسهاما جوهريا في اصلاح حال الأمة ومآلها فكريا وعمليا ، سواء كان ذلك في شبه القارة الهندية (الهند وباكستان) خاصة ، أو بقية الأقطار الإسلامية عامة. وعطفا على ذلك فإن الصوفيّة قد ساهموا عبر فترات تاريخية في نشر السيرة النبويّة إسهاما ملحوظا ، فضلا عن نشرهم للإسلام ودعوته، وسعيهم لإدخال حتى غير المسلمين فيه. وانطلاقاً من هذا الإطار الفكري والعلمي، يتناول هذا البحث موضوع السيرة النبوية في فكر العلامة محمد إقبال (1877م-1938م) ، مبرزاً معالم حضور السيرة النبوية في رؤيته الفكرية والإصلاحية، ومكانتها في مشروعه النهضوي للأمة. وتقتضي المنهجية العلمية تناول العناصر التالية :

- إقبال والتصوف والصوفية والتصوف العملي .
- إقبال محبا ومادحا للرسول صلى الله عليه وسلّم .
- إقبال ومنهجه في تناول أحداث مفصليّة في السيرة النبوية (المولد النبوي الشريف ، البعثة ، الوحي، الهجرة ، الفتح ، المعراج ...) .

ولسائل أن يسأل ما حقيقة التصوف والصوفية عند اقبال ؟ وما مترعه الصوفي ؟ وما المنهج الذي تناول به إقبال السيرة النبويّة وبعض أحداثها المفصليّة ؟. إن هذا كلاً هو ما ترنو المداخلة الى بيانه والإجابة عنه.

إقبال والتصوف والصوفية والتصوف العملي

تجدر الإشارة بادئ ذي بدء الى أن مترع العلامة محمد اقبال الصوفي ، وصلته بالتصوف والصوفية، يعود في أساسه الى نشأته الصوفية ، اذ نشأ في أسرة تقية ، ومنتدنة ووثيقة الصلة بحب الله ورسوله

صلى الله عليه وسلم ، والالتزام بالقيم الإسلامية العليا المستمدة من جوهر القرآن ، وسيرة النبي المصطفى مثلما توضحه حادثتين في صباه تجليان عمق التعلق بالله ورسوله ، وبسيرته العطرة أوردهما اقبال ، وتتصل الأولى بتنشئة والده له على تلاوة الذكر الحكيم منذ صباه ، وحثه على حفظه وتدبره ، وكأنه نزل عليه في اللحظة التي هو فيها كما روى ذلك اقبال نفسه حين قال : " كنت تعودت أن أقرأ القرآن بعد صلاة الصبح كل يوم وكان أبي يراني ، فيسألني ماذا أصنع ؟ فأجيبه أقرأ القرآن ، وظل ذلك طوال ثلاث سنوات متتاليات يسألني سؤاله ، فأجيبه جوابي ، وذات يوم قلت له : ما بالك يا أبي ؟ تسألني نفس السؤال ، وأجيبك جوابا واحدا ، ثم لا يمنعك ذلك عن إعادة السؤال من غد ، فقال : إنما أردت أن أقول لك يا ولدي: **اقرأ القرآن كأنه نزل عليك** ، ومنذ ذلك اليوم بدأت أفهم القرآن ، وأقبل عليه ، فكان من أنواره ما اقتبست ، ومن درره ما نظمت"¹

أما الحادثة الثانية التي ضمنها اقبال ديوانه "رموز بيخودي" (رموز نفي الذات) وتكشف عن عمق إيمان والده وزهده وتصوفه وتدينه وحبه للنبي المصطفى ، والتأسي به في أخلاقه ورحمته بالضعفاء ، والافتداء به في سيرته ، كما أورد ذلك الأديب عبد الوهاب عزّام نثرا على لسان إقبال قائلا : " وقع على بابنا سائل وقوع القضاء ، ورفع صوته كأنه نعيق غراب ، وأخذ يطرق الباب طرقا متواليا ، فثرت غضبا وضربته بعصا على رأسه ، فتبعثر ما جمعه بسؤاله ، والعقل أيام الشباب لا يفرق بين ضلال وصواب ، ورآني والدي فأغتم واربد وجهه ، وتأوّه ، وسال الدمع من عينه ، واضطربت روحي الغافلة وطار لي. قال أبي : " تجتمع غدا أمة خير البشر ، تجتمع أمام مولاها ، ويحشر غرّة الملة البيضاء وحكماؤها ، والشهداء ، وهم حجة الدين وأبجج هذه الأمة والزهاد والعلماء والعصاة.

¹ - راجع ما أورده الشيخ الندوي أبو الحسن في كتابه روائع اقبال ، نشر دار شهاب للطباعة والنشر ، ط1، باتنة ، الجزائر ، 1986 ، ص52.

Al-Nadwī, Abū al-Ḥasan. *Rawā'ī 'Iqbal*. 1st ed. Batna, Algeria: Dār Shihāb li'l-Ṭibā'ah wa'l-Nashr, 1986, p. 52.

ويأتي السائل المسكين صائحا في هذا المحشر باكيا . فماذا أقول إذا قال لي النبي : " إن الله أودعك شابا مسلما فلم تأدبه بأدب ، بل لم تستطع أن تجعله إنسانا . فتمثل عتاب النبي الكريم ومقامي في خجلي بين الخوف والرجاء . تفكر قليلا يا بني . اذكر اجتماع خير أمة البشر .
أنظر يا بني الى شيبي واضطرابي وقلقي ، ولا تقس على أبيك ، ولا تفضحه أمام مولاه إنك كمن في غصن المصطفى ، فكن وردة من نسيم ربيعته ، خذ من ربيعته نصيبا من الريح واللون ، لا بد لك أن تظفر من خلقه بنصيب"².

وجاء نظم اقبال لتلك الحادثة شعرا في منظومته - المشار اليها - " رموز بي خودي "

(رموز نفي الذات) على النحو التالي :³

سائل مثل قضاء مبرم	صاح بالباب بصوت مبرم
بالعصا صلت عليه غضبا	فهوى من يده ما قشبا
ان هذا العقل في شرح الشباب	لا يبالي بضلال وصواب
ورأى الوالد فعلي فنفر	وذوى في وجهه روض الزهر
آهة في فمه تلتهب	قلبه في صدره يضطرب
كوكب في عينه قد ومضا	نور الهدب قليلا ومضى
روحي الغافل في الجسم ارتعد	ومضى الصبر وخلاي الجلد
مثل فرخ في الخريف انتفضا	من رياح الليل في العش قضى

² عزام عيد الوهاب ، محمد اقبال سيرته وفلسفته وشعره ، مطبوعات باكستان ، (د.ت) ص17

‘Azzām, ‘Īd al-Wahhāb. *Muḥammad Iqbal: Sīratuhu wa Falsafatuhu wa Shi’ruhu*. Pakistan: Maṭbū‘āt Bākistān, n.d., p. 17.

³ - الغوري عبد المجيد ، ديوان محمد اقبال ، منظومة " رموز الأسرار " دار ابن كثير ط3 ، دمشق 1428هـ-2007م ، 1/ص220-221،

Al-Ghawrī, ‘Abd al-Majīd. *Dīwān Muḥammad Iqbal, Manzūmat “Rumūz al-Asrār”*. 3rd ed. Damascus: Dār Ibn Kathīr, 1428 AH / 2007 CE, vol. 1, pp. 220–221.

قال لي الوالد: يوم المحشر
 الغزاة الغر من أمته
 وعلا في لج هذا المحشر
 أيها الخائر في ذا الموكب
 وقد حباك الحق طفلا مسلما
 هين الأشياء قد شق عليك
 وأنا في العتب من خير الرسل
 أفكرن في الأمر واذكريا بني
 لحيتي البيضاء في الحشر انظر
 لا تزد عبء ابيك الوهن
 انت كم في فروع المصطفى
 نظرة من روضه فالتمس
 تلتقي امة خير البشر
 وأولو الزهد وأصحاب الذنوب
 صوت هذا السائل المنكسر
 ما جوايي حين يلحاني النبي
 لم تنله من كتابي مغنما
 لم يصر ذا الطين انسانا لديك
 بين خوف ورجاء وخجل
 أمة المختار إذ ترنو اليّ
 رعدتي في الخوف والحزن اذكر
 عند مولاي غدا لا تخزني
 ففتح في ربيع المصطفى
 وسنا من خلقه فاقبس

تعكس الحادثتان السابقتان اللتان عاشهما إقبال في صباه طبيعة النشأة الصوفيّة التي تلقّاها في مهد طفولته. هذا وأكد إقبال طبيعة تلك النشأة الصوفيّة في موطن آخر لصديق اعترض على مصطلح "خودي" في منظومتي "خودي" و "بي خودي" (الأسرار والرموز) حين قال: "إنّي بفطرتي وتربيّتي أنزع الى التصوّف"، وقد زادتني فلسفة أوروبا - حين ارتحل الى جامعات إنجلترا وألمانيا لمواصلة دراساته الأكاديميّة، والحصول منها على أعلى الرتب الجامعيّة (الدكتوراه 1907م بألمانيا) - نزوعا اليه، فإن فلسفة أوروبا في جملتها تتجه الى وحدة الوجود، ولكن تدبري القرآن المجيد،

ومطالعتي تاريخ الإسلام بإمعان أشعراي بغلطي ، ومن أجل القرآن عدلت عن أفكارى الأولى ،
وجاهدت ميلي الفطري عن طريقة آبائي"⁴

ويتجلى موقف إقبال أكثر فأكثر من الصوفيّة والتصوف في محاوره له في مجلّة " الطريق "
أجراها معه المسؤول عنها في أوت 1914م حين طرح عليه جملة من الأسئلة حول ما قدّمه المتصوفة
أو الصوفيّة من خدمات في الهند من أجل الإسلام في زمانه، وما طبيعة الإضافة التي قدّموها في تلك
الخدمات ، وما حقيقة التصوّف كما يراه إقبال؟ ، وما موقفه من الأولياء وزيارة قبورهم؟ وهل
بإمكان المتصوّفة أن يساهموا في خدمة المجتمع وإفادته ، ومساعدته على اليقظة والرقى الحضاري؟
وكانت أجوبة إقبال على تلك الأسئلة متمثلة في تأكيده على أجلّ الخدمات التي قدمها
المتصوفة أو الصوفيّة الى الإسلام ، وإظهار محاسن الدين المحمدي بحسن سياستهم ومكارم أخلاقهم،
وسعيهم الى إسلام الملايين من غير المسلمين ، ودخولهم في الدين الخنيف ، وسعيهم الى تركية النفس
، وإصلاح الباطن ، وتوجيه بعض السلاطين في شبه القارة الهندية الى جادة الصواب ، ونصحهم
بالعودة الى الطريق الأقوم دون تردد أو خوف . فضلا عن بيان إقبال أن التصوّف هو الحقّ الذي
يحقق النجاح والتّقدم للدين والدنيا في وقت واحد ، وأن الإسلام لا يسمح بالرهبانية والعزلة ، وإهمال
العيال ، والانقطاع للخلوة في الصحاري والغابات ، وأن هذا التّصوف الإسلامي لا يقرّ الفرد الذي
يعيش لنفسه فقط ، فهو ينبوع جاف، لأن الفطرة تقتضي نموّ العمران وامتداد النسل البشري .
كما أشار إقبال الى أنّ زيارة قبور الأولياء جائزة إذا سعت الى تركية الباطن ، وطلب
الحاجات من الله عزّ وجلّ دون سواه ، وقد جاءت تلك المحاوره في شكل أسئلة وأجوبة كما يلي:
س : ماذا أفاد الإسلام من المتصوّفة ؟

⁴ - د.عبد الوهاب عزّام ، محمد إقبال سيرته وفلسفته وشعره، مرجع سابق ، ص 63.

'Azzām, 'Abd al-Wahhāb. *Muḥammad Iqbal: Sīratuhu wa Falsafatuhu wa Shi'ruhu*,
ibid., p. 63.

ج : لقد قدّم المتصوّفة في الهند أجلّ الخدمات الى الإسلام ، وأظهروا محاسن الدّين المحمّدي لا بالسيف ولا بالحرب ، بل بحسن سياستهم ومكارم أخلاقهم ، وكان من أثر ذلك أن أسلم على أيديهم ستون مليوناً من جملة المسلمون في الهند ، وهم سبعون مليوناً (في عام 1914م) ، وكلّ المزايا الإنسانية العالية التي تجلّت في الهند كانت بفضل تعليمهم ونشاطهم ، فهم الذين علّموا الإنسان كيف يكون إنساناً أولاً ، ثم علّموه كيف يكون مسلماً بعد ذلك .

س : هل أفادوا السياسة الإسلاميّة في الهند ، وهل كان لهؤلاء المتصوّفة اثر في سياسة الهند الإسلاميّة؟

ج : لم يكن من عملهم التّدخل في مشكلات السّياسة لأن رسالتهم تتعلّق بتزكية النفس ، وإصلاح الباطن ، وتمذيب النفس الأمّارة ، ولكنّهم لم يتخلّفوا عن أداء واجبهم حين انحرف بعض السّلاطين فقد قاموا بنصحهم وتوجيههم الى الطريق الأقوم بدون تردّد ولا خوف .

س : ماهي تعاليم الإسلام من وجهة الشّؤون الدنيويّة؟

ج : في نظرهم (التصوف في نظر المتصوفة كما يراه إقبال) هو الحقّ ، أن يحقّق (التصوّف) النجاح والتقدّم للدين والدنيا في وقت واحد ، فالإسلام لا يسمح بالرهبانيّة والعزلة ، وإهمال الأهل والأولاد ، و الانقطاع للخلوة في الصحاري والغابات ، وأضاف إقبال قائلاً : " و التصوّف الإسلامي يرى أن الذي يعيش لنفسه فقط فهو ينبوع جاف لا ماء فيه ولا خير منه ، وقد سمح التصوف الإسلامي بالخلوة ، والتفرغ للعبادة والتوجه لله لذي المواهب الخاصّة ، ومن لهم قدم راسخة في الروحانيّة ، وهم أقلّ من القليل ، وعلى أيّة حال فإن ترك الدنيا والعزوف عن نعم الله فيها تعدّ مخالفة للقانون الإلهي ، لأن الفطرة تقتضي نموّ العمران وإمتداد النسل البشري .

س : أترى من المستحسن زيارة القبور او ترى غير ذلك؟

ج : إذا كان هدف الزيارة طلب الحاجات من أصحابها ، كما تطلب من الله عزّ وجلّ فإنّي أخالف هذا كلّ المخالفة ، وأعتبر ذلك إنمّا وجرماً كبيراً ، وإذا كان الهدف هو العبرة وتذكّر الموت والدّعاء لهم فلا بأس بذلك ، بل هو مطلوب ، وأرى فوق ذلك أن في زيارة هذه المواطن مما يتحقّق به تزكية الباطن .

س : ولكن ما الذي يفيدنا من طائفة المتصوّفة في هذا العصر المتميّز بالحركة والجدّ، والإنتاج والعمل الدائب ؟

ج : إنّ هؤلاء المتصوّفة لهم حلقات رحيبة ، وأتباع عديديون ، وهم يستطيعون أن يوجّهوا أتباعهم ومريديهم نحو الحياة الفاضلة ، والمشاركة في كلّ الميادين العمليّة والمفيدة للمجتمع ، وكثيرا ما كانوا مصدرا لليقظة والنهوض الحضاري للأمة⁵.

ولا نغفل الإشارة الى أنّ هذه المحاور تدرج في إطار التّصوف الإيجابي الذي يرفض الرهبانيّة ويدعو الى الحركة والعمل ، واليقظة والنهوض الحضاري للأمة الذي يقره إقبال لا التّصوف السليبي الذي يرفضه كما ورد في دواوينه الشعريّة ، وفي رسالته - المشار إليها - الى صديقه السيد حسين نظامي في الثلاثين من ديسمبر 1915 م كما أورد ذلك الأديب عبد الوهاب عزّام⁶ .

فقد جاء في رسالة إقبال ما يلي: "إنّ الرهبانيّة ظهرت في كلّ أمة ، وعملت لإبطال الشريعة والقانون . والإسلام في حقيقته هو دعوة الى إنكار هذه الرهبانيّة ، والتّصوف الذي ظهر بين المسلمين - أعني التّصوف العجمي الإيراني - أخذ من رهبانيّة كلّ أمة ، وجهد ان يجلب إليه كلّ نحلة ... ، وإنّ حالة السّكر (في اصطلاح الصوفيّة) تنافر الإسلام وقوانين الحياة ، وحالة الصحو وهي الإسلام موافقة قوانين الحياة ، وإنّما قصد الرسول صلّى الله عليه وسلّم الى إنشاء أمة صاحبة (في حالة

⁵ - راجع ما ورد في كتاب الأعلام الخمسة للشعر الإسلامي " العطار - رومي - السعدي- حالي -إقبال " ترجمه من الأوردية والفارسية نثرا ونظما محمد حسن الأعظمي ، والصاوي علي شعلان، وحقّقه د. مصطفى غالب ، نشر مؤسّسة عز الدّين للطباعة والنشر ، ط1 ، بيروت - لبنان ، 1402هـ - 1982 م ، ص-ص 27 - 31.

Muhammad Hasan al-A'zamī and Ṣāwī 'Alī Sha'lān, trans. *Al-A'lām al-Khamsah lil-Shi'r al-Islāmī "Al-'Atṭār - Rūmī - Al-Sa'dī - Ḥālī - Iqbal"*, ed. Dr. Muṣṭafā Ghalib. 1st ed. Beirut, Lebanon: Mu'assasat 'Izz al-Dīn li'l-Ṭibā'ah wa'l-Nashr, 1402 AH / 1982 CE, pp. 27-31.

⁶ - د. عزّام عبد الوهاب ، محمّد إقبال سيرته وفلسفته وشعره ، المصدر السابق نفسه ، ص 63.

'Azzām, 'Abd al-Wahhāb. *Muḥammad Iqbal: Sīratuhu wa Falsafatuhu wa Shi'ruhu*, ibid., p. 63.

(الصحو) ، ولهذا نجد في صحابة رسول الله الصديق الأكبر ، والفاروق الأعظم ، ولا نجد حافظ الشيرازي (من أكبر شعراء العجم)⁷ .

وهكذا يتضح مترع إقبال الروحي الصوفي الذي يستمد جذوره من القرآن الكريم ، والسنة النبوية الشريفة ، ودراسة الفلسفة في بلاد الغرب ، والتنشئة العائلية المصطبغة بالايمان والتقوى والتصوّف ، وجنوحه الى التصوف العملي القائم على تركية النفس ، وبذل الجهد ، والعمل من أجل الدين والدنيا ، ونبد التصوّف السليبي القائم على السكون والرهينة ، والسعي لليقظة والنهوض الحضاري للأمة ، مما أكسب إقبال الخلود والعظمة الفكرية والانسانية كما نوه الى ذلك الأديب المصري عباس محمود العقاد حين رأى أنّ إقبالا هو طراز العظمة الذي يتطلّب الشرق في كلّ حين وآن ، وكتب في ذلك قائلا : "

- عظمة ليست بالدينيّة الماديّة .

- وعظمة ليست بالأخرويّة المعرّضة عن هذه الدنيّا .

إذ العظمة الدينيّة الماديّة قد أغرقت الغرب في الجحود والقنوط ، ودفعته الى النزاع والعدوان بين الأمم ، وبين الطوائف ، وبين الطبقات ، وبين الآحاد

وأما العظمة الأخرويّة التي تعرض عن الدنيا فقد هبطت بالشرق الى حضيض المهانة والمذلّة ،

وجرت عليه نكبات الإستعمار والإستغلال .

وإنّما العظمة من قبيل عظمة إقبال تصلح للشرق في زماننا ، وتستحق منه التّحية والإحياء في كلّ عام ، بل في سائر الأيام .

صوفيّ على الطريقة الوسطى أو زعيم من زعماء العمل بين العدوتين من الدنيا والآخرة : قوام بين العالمين كأحسن ما يكون القوام .

⁷ - المصدر السابق نفسه ./ Ibid.

وحيث ما انقسمت الصوفية الى قسمين ، كان إقبال الى جانب أفضل القسمين ، وأصلحهما للعمل ، وإذكاء النخوة ، وشحذ الهمة ، وإيقاظ الضمير .

هناك الصوفية التي تؤمن بالثبوت ، والصوفية التي تؤمن بالفناء .

في أي جانبيين إقبال ؟

في جانب الثبوت .

وهناك الصوفية التي تقول للحياة " نعم " ، والصوفية التي تقول للحياة " لا " في أيّ الجانبيين إقبال ؟ في الجانب الذي يقول نعم .

إنّ العمل لا يستغني عن الخيال ، ولا يستغني الخيال عن العمل ، فقد كان كلّ عمل عظيم خيالا كبيرا قبل أن يبرز ويستقر به القرار في عالم الأعمال ، كانت " الباكستان " كلّها حلما من أحلام إقبال فأصبح الحلم اليوم دولة تظم الملايين من النفوس يترجمون ذلك الحلم الرائع كل يوم الى أعمال وآمال . وهكذا تكون العظمة التي تحيينا ويحقّ علينا أن نتذكرها بالتّحية والإحياء .

عظمة صوفيّ يعمل ، وعظمة عامل يتصوّف ، وإذا وجب للعظماء حقّهم في كلّ زمن ، وإذا كان هذا الحقّ أوجب ما يكون على الشّرق في هذا الزمن ، وإذا نظرنا حولنا نبحت عن مثال ... فذلك المثال هو إقبال⁸

إقبال محبا ومادحا للرسول صلى الله عليه وسلّم .

إنّ المتأمل في آداب الشعوب الإسلامية وآثار شعرائها في العصر الحديث يجدها قلّ أن عرفت شاعرا عبّر عن محبّته العميقة للنبي صلى الله عليه وسلّم بطرائق شتى و متنوعة ، كما عبّر عن ذلك

8 - العقّاد عبّاس محمود ، " تحية العظماء في ذكراهم فريضة إنسانية واجبة في كلّ زمان وفي كلّ وطن " ، مقال ضمن كتاب " إقبال العرب على دراسات إقبال " ، جمع واختيار وتقديم د . ظهور أحمد أظهر ، ط1 ، نشر المكتبة العلميّة لاهور باكستان 1397هـ - 1977 م ، ص 3-5 .
Al-'Aqqād, 'Abbās Maḥmūd. "Taḥiyyat al-'Uzamā' fī Dhikrāhum Farīdah Insāniyah Wājibah fī Kull Zamān wa Kull Waṭan." In *Iqbal al-'Arab 'alā Dirāsāt Iqbal*, ed. Dr. Zuhūr Aḥmad Aẓhar. 1st ed. Lahore, Pakistan: Al-Maktabah al-'Ilmiyyah, 1397 AH / 1977 CE, pp. 3-5.

شاعر الإسلام العلامة محمد إقبال ، وذلك راجع الى المآثر التي تحلّى بها النبيّ المصطفى ، والتي ألهمته التعبير عنها من خلال أشعاره التي نزلت نبي الإسلام المترلة المثلى والأرقى واللائقة به ، والتي تصبو إليها كلّ نفس مؤمنة محبة له ، ساعية الى التقرب منه ، وتقليده في سلوكه ، وأخلاقه ، وأدبه ، ومنهجه الإصلاحية الذي غير مجريات الأمور وكبرياتها في تاريخ البشرية قاطبة ، إذ جاء رحمة للعالمين ، وثورة على الشرك ، والوثنية ، والأوضاع الاجتماعية والسياسية الفاسدة ، والتي كانت تعاني منها الإنسانية في مطلع القرن السابع للميلاد ، إذ ركز نبي الرحمة التوحيد بدل الشرك ، وأقام العلاقات البشرية على أساس الإخاء والحرية والمساواة بدل التنافر والاستبداد والعبودية⁹.

فالراجع الى تلك الأشعار التي تعنى فيها إقبال بمحبة المصطفى ، قلّ أن يجد ديوانا من دواوينه التي حوت تلك الأشعار خاليا من اثر لذلك الحب العميق ، وهو حبّ فريد من نوعه ، عميق في مدلوله يأخذ بمجامع القلوب ، ويأسر النفوس¹⁰.

فانظر ما حواه ديوان " الأسرار والرموز " والذي ضمنه إقبال عشقه وحبّه للرسول المصطفى

في أبيات خلّد الدهر ذكرها حين قال:

عشقك النار بجسمي يضرم	فليذب روحي منه ضرم
ومتاعي أنّه مثل الربّاب	إنها المصباح في بيت الخراب
كيف لا يبدي شج أتراحه؟	كيف لا يبدي زجاج راحه؟ ¹¹

⁹ - راجع ما ورد في مقالنا " إقبال وموقفه من الإنسان "، المجلة التونسية للعلوم الاجتماعية، نشر مركز الدراسات الاقتصادية والاجتماعية بالجامعة التونسية ، السنة 26، العدد 98-99، تونس 1989م، ص123

See our article: "Iqbal wa Mawqifuhu min al-Insān," *Al-Majallah al-Tūnisīyah lil-'Ulūm al-İjtīmā'īyah*, Tunis: Centre for Economic and Social Studies, Tunis University, vol. 26, nos. 98-99, 1989, p. 123.

¹⁰ - راجع ما أورده جمال الدين محمد السعيد في مقاله " النبي محمد صلى الله عليه وسلم في شعر محمد إقبال " ، ضمن الرابط الالكتروني :

www.adabislami.org/news/6050

Jamāl al-Dīn Muḥammad al-Sa'īd. "Al-Nabī Muḥammad ﷺ fī Shi'r Muḥammad Iqbal." Available online: www.adabislami.org/news/6050.

¹¹ - إقبال محمد ، ديوان " الرّموز " (رموز بي خودي) ضمن ديوان محمد إقبال ، إعداد الغوري عبد المجيد ، 1/ص244.

وحين قال في أبيات أخرى في نفس الديوان من ترجمة د. جمال الدين محمد السعيد ما

نصه: ¹²

إنَّ قلب المسلم عامر بحب المصطفى هو أصل شرفنا، ومصدر فخرنا في هذا العالم

لقد فتح باب الدنيا بمفتاح الدِّين، فداه أبي وأمِّي، لم تلد مثله أم، ولم تنجب مثله الإنسانية لماذا لا أحبه؟
وأحنّ إليه؟ وأنا إنسان وقد بكى لفراقه الجذع، وحنّت إليه سارية المسجد. إنَّ تربية المدينة أحبّ
اليّ من العالم كلّهُ، أنعم بمدينة فيها الحبيب".

واقراً في ديوان إقبال "ما العمل يا أمم الشرق"، ما نظمه في حب المصطفى، وتعلّقه به

دون سواه في قصيدة بعنوان "الى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم" ¹³:

يا رأسَ مالِ البائسين ويا منارِ الحائرينِ أُدعُ الإلهَ يهبُ لأمتك الشجاعة واليقين!
ويعيدهم من شرِ خوفِ الموتِ من قبلِ المماتِ؟! الخوفُ يُفني البائسين وهم على قيد الحياة!
يامن هدمت اللات والعزى وحررت الحرم! وبنيت أعلى أمة تُهدى بسيرتها الأمم!
ذِكْرُ الإلهِ، ويقظةُ الوجدانِ في إنسِ وجانِ من فيضِ وحيك يا صلاة الصبح يا صوت الأذان!
وحرارةُ الإيمانِ في القلبِ المشوقِ إلى النضالِ! وسراجُ ليلِ الفكر: لامعبود إلا ذو الجلال!
من فيضِ روحك كلُّ هذا الفضلِ والعزِّ المكينِ وبناءِ صرحِ المجدِ في توحيدِ ربِّ العالمين!
إنَّ كانِ عمري قد بدا خلوّاً من المحصولِ جدباً مازلتُ أملكُ مُضغَةً يدعونها في الحُبِّ قلباً!

Iqbal, Muḥammad. *Dīwān "Al-Rumūz" (Rumūz-i Bī-Khudī)*, ed. Al-Ghawrī, 1/244.

¹² - جمال الدين محمد السعيد، مقال "النبي محمد صلّى الله عليه وسلّم في شعر محمد إقبال"، المقال السابق ضمن الرابط الإلكتروني السابق

Jamāl al-Dīn Muḥammad al-Sa'īd, "Al-Nabī Muḥammad ﷺ fi Shi'r Muḥammad Iqbal," *ibid.*, online link above.

¹³ - إقبال محمد، ديوان "ما العمل يا أمم الشرق"، ترجمه نثراً محمود أحمد غازي، وشعراً صاوي شعلان، دار الفكر، ط1، دمشق، سوريا 1408 هـ - 1988 م، ص-ص 135-141.

Iqbal, Muḥammad. *Dīwān "Mā al-'Amal Yā Umam al-Sharq"*, translated into prose by Maḥmūd Aḥmad Ghāzī and poetry by Šāwī Sha'lān. Damascus, Syria: Dār al-Fikr, 1st ed., 1408 AH / 1988 CE, pp. 135-141.

أخفيتُهُ لأكون فرداً في هداك وفي رضاكُ وعليه خاتمُ حبكُ الغالي فليس به سواك
وعكست أبيات عديدة حبَّ إقبال للمصطفى ، وتعلّقه به ، وحنينه الى " يثرب " المدينة المنورة
، وأمانيه الى زيارتها كما ورد عبر خياله الخصب في رحلته الى الحجاز ، وزيارته لمكة والمدينة، ولقائه
بالمصطفى صلوات الله عليه ، وشكواه له مما يعانیه ، كما ضمّن ذلك في ديوانه الشهير "أرمغان حجاز "
(هدية الحجاز) ، وأطلعه على ما تعانیه أمته المسلمة من شدائد ومصاعب واستعباد ، وضعف ووهن ،
وفراغ روحي في زمانه ، وتسلبت استعماري انجليزي على شبه القارة الهندية ، ومعظم أقطار الامة
الاسلامية.

وسعد إقبال كما تصوّر في رحلته الخيالية الى المدينة المنورة " بالمثل بين يدي الرسول عليه
الصلاة والسلام - كما ترجم الشيخ أبو الحسن الندوي تلك الرحلة نثراً - فصلي وسلم عليه بما فتح
الله به عليه ، وانتهاز الفرصة ليحدثه عن نفسه وبلاده ، والفترة التي يعيش فيها"¹⁴
ولقد صورَّ إقبال فيما نظمه وأورده الشيخ أبو الحسن الندوي نثراً تلك الرحلة قائلاً : " لقد
توجهت الى المدينة رغم شيبتي وكبر سنّي ، أغنّي وأنشد الأبيات في سرور وحنين ، ولا عجب فإنّ
الطائر يطير في صحراء طول نهاره ، فإذا أدبر النهار ، وأقبل الليل رفرف بجناحيه ، وقصد وكره
ليأوي اليه ، ويبيت فيه "¹⁵ .

وخاطب إقبال الرسول الأكرم باثنا شكواه اليه معتذراً عمّا صدر من ضعف وهوان أمته ، وبعدهم
عن رسالة المصطفى كما جاء في ترجمة الشيخ الندوي :¹⁶ " لقد أمرتني يا رسول الله أن أبلغ اليهم

14 - الندوي أبو الحسن ، روائع إقبال ، مرجع سابق ، ص 198-199

Al-Nadwī, Abū al-Ḥasan. *Rawā'ī 'Iqbal*, ibid., pp. 198-199.

15 - المرجع نفسه ص 200-201. / Ibid., pp. 200-201.

16 - الندوي أبو الحسن ، روائع إقبال ، مرجع سابق ، ص 210.

Al-Nadwī, Abū al-Ḥasan. *Rawā'ī 'Iqbal*, ibid., p. 210.

رسالة الحياة والخلود ، وأنشدهم مما يبعث فيهم النشاط والروح ، ولكن هؤلاء القساة يقترحون عليّ أن أنوح الأموات في الشعر ، وأن أنظم تاريخ الوفاة ، فأين هذا مما تأمرني به".
أحبّ إقبال الرسول صلى الله عليه وسلّم ، وأحبّ مكة والمدينة ، وأحبّ الحجاز ، وأحبّ أن يدفن فيه بجانب مرقد الحبيب صلى الله عليه وسلّم ، وكانت آخر كلمات ردّها قبل وفاته بقليل أشار فيها الى الحجاز ، حين قال :

نعمات مضمين لي هل تعود ؟
أناسيم الحجاز يعود ؟
أذنت عيشتي بوشك رحيل
هل لعلم الأمر قلب جديد¹⁷

ولا يقلّ شعر مدح النبي صلى الله عليه وسلم والذي جاء ماثوثا في معظم دواوينه قيمة عن شعره في حب المصطفى، فكثيرا ما كان الحب والمدح متلازمين ، سواء كان ذلك في قصائده التي نظمها بالفارسية أو بالأردية ، الى درجة أن قيل فيه " لئن كان حسان ابن ثابت شاعر الرسول فان إقبال شاعر الرسالة " ، وذلك كما جاء في مجلة الرسالة المصرية لرئيسها الأديب أحمد حسن الزيات حين قال : " فإن إقبال شاعر الرسالة ، واذا كان حسان ابن ثابت شاعر الرسول قد وجد من نازعه في شرف الدفاع عن النبي محمد صلى الله عليه وسلّم ، فليس لإقبال من ينازعه شرف الدفاع عن الرسالة المحمدية في عصرنا ، وإذا كان من الشعراء الصوفيين من عطرّ مجالس الذكر بقصائد الإسلام وشمائل السنة ، فليس فيهم من بلغ مبلغ إقبال في فقه الشريعة وعلم الحقيقة، والتامل في كتاب الله ، والنظر العلمي في كلام الرسول ، والجمع بين قديم الشرق وجديد الغرب في قوة تمييز وسلامة فهم"¹⁸.

17 - الأعلام الخمسة للشعر الإسلامي ، مرجع سابق ص 19.

Al-A'lām al-Khamsah lil-Shi'r al-Islāmī, ibid., p. 19.

18 - راجع ما أورده القوسي محمد عبد الشافي في مقال له بعنوان " رحلة الشاعر محمد اقبال الخيالية الى مهبط الوحي " ، موقع الرابط : www.Arrafid.ac

Arrafid.ac

Al-Qawsī, Muḥammad 'Abd al-Shāfī. "Riḥlat al-Shā'ir Muḥammad Iqbal al-Khayālīyah ilā Mahbaṭ al-Waḥy." Available online: www.rrafid.ac.

وتساوقا مع ما ذهب اليه الأديب حسن الزيات فان المتأمل في تربية إقبال الصوفية يجده قد عاش طيلة عمره محباً للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مادحا إياه ، فقد نظم ابیاتا تعد من غرر المدائح النبوية والشعر الوجداني كما ورد ذلك في ديوان الأسرار حين قال¹⁹:

عشقه في القلب نور اسفرا	لثريا يرتقى منه الثرى
ترب نجد منه قد خف وضاء	طار وجدا مصعدا نحو السماء
مهجة المسلم مثوى المصطفي	عزة المسلم ذكرى المصطفي
موجة من نغمة الطور الأشم	داره للكعبة العظمى حرم
ضاق عن آن حواه للأبد	مستمد من مداه الأمد
آثرت سحق حصير عفته	وعلت تيجان كسرى أمته
خلوات في حراء خلقا	أمة منها وحكما مشرقا
كم ليال قد قضاها ساهدا	فجبا الأمة ملكا خالدا
سيفه في الحرب قطاع الحديد	عينه في الذكر بالدمع تجود
سيفه (أمين) تمحو الظالمين	حين يدعو الحق بالنصر المبين
سننا في كوننا قد جددا	ومن الماضين ملكا بددا
فتح الدنيا له مفتاح دين	عقمت عن مثله أم السنين
استوى مولى لديه وغلام	هو والعبد سواء في الطعام
أست في غزوة بنت الجواد	من علا طيا بجواده وساد

¹⁹ - الغوري عبد المجيد ، ديوان محمد اقبال ، ديوان الأسرار 138-139.

Al-Ghawrī, 'Abd al-Majīd. *Dīwān Muḥammad Iqbal, Dīwān al-Asrār*, pp. 138-139.

هو في الدنيا علينا ساتر وهو في الحشر إلينا ناظر
لطفه والقهر كل رحمة لصديق وعدو رافة
وبيوم الفتح هذا الغافر قال (لا تثريب) وهو القادر

ولعلّ ما يعضدّ المديح الاقبالي السابق للنبي المصطفى ما جاء أيضا في إحدى قصائد الشاعر العصماء بعنوان " قصيدة محمد اقبال في مدح النبي محمد صلى الله عليه وسلّم " والتي أبدى فيها إقبال تعلقا شديدا بحب المصطفى ، ومدحه مدحا لا يضاهيه فيه غيره والتي قال فيها ²⁰:

لغة الكلام كما رأيت على فمي خجلى ولولا الحب لم أتكلم
يا مظهر التوحيد حسبي أنبي أحد الشداة الهائمين الحوم
ما حيلة الشعراء زاد غناؤهم رهباً لدى هذا الجمال الأعظم
كل المعاني إن وُصِفَتْ تضاءلت وتحيرت في كُنْهك المتلثم
إن الذي سواك في تزيله وفاك وصفاً بالثناء الأكرم
سبقت محبته مجيئك للورى في عالم الغيب الكبير الأقدم
يا نور يوم وُلدت قامت عزة للأرض إذ أمست لنورك تنتمي
الكوكب الأرضي حين وطئته أمسى حصاه يتيه فوق الأنجم
وعلى هدى الأقدار قام محمدٌ لله فيه سرائر لم تُعلم
متجرداً من كل جاه ظاهرٍ وبغير جاه الله لم يستعصم

²⁰. راجع ما ورد في الرابط الالكتروني : قصيدة محمد اقبال في مدح النبي صلى الله عليه وسلم - جائزة كتارا لشاعر

الرسول/ <https://katarapoet.com/>

Online reference: "Qaṣīdat Muḥammad Iqbal fi Madh al-Nabī ﷺ – Katara Prize for the Prophet's Poet." Available at: <https://katarapoet.com>

صلى عليه الله في سُبْحاته
يمشي على حذر وينشر هديه
ما كان عن رهَبٍ ولا عن خيفة
حتى أفاض الله وانتشر الهدى
ودعا فكان الله عند دعائه
وامشي وراء محمد وكفى به
صلى عليه الله عليه نوراً هادياً

ما راح يجمع صحبه بتكتم
رشداً من الذكر العزيز المحكم
لكن على قدر خفي ملهم
ومضى يهيب بكل قلب مسلم
يا هذه الدنيا لأحمد فاسلمي
نوراً يضيء هدىً لكل متيم
متعبداً في غاره لم يسأم

فالتأمل في المدح الاقبالي يلحظ تفردده فيما انخرط فيه الكثير من شعراء المسلمين في مدح خير البرية قديماً ، والذين أشادوا بشمائله ، وسيرته العطرة على غرار شاعر الرسول حسان ابن ثابت ، والامام البصري في " بردته " و "همزيته " ، وحديثنا الشاعر المصري أحمد شوقي ، على من سبقه وعاصره - وذلك كما وقعت الإشارة اليه - من قبل الأديب حسن الزيات في مجلة الرسالة بقوله: "فليس فيهم من بلغ مبلغ إقبال".

منهج اقبال في تناول الأحداث المفصليّة في السيرة النبوية (المولد النبوي الشريف ، البعثة ، الوحي ، الهجرة ، الفتح ، المعراج ...) .

إن العلامة محمد إقبال الشاعر والفيلسوف الباكستاني والرائد المصلح يعد واحداً من أولئك الأعلام الذين سعوا الى بعث النور في سماء الشرق عامة ، وشبه القارة الهندية خاصة (الهند وباكستان) ، وصاحب نظرية إصلاحية عرفت بنظرية الذاتية التي تجلت من خلال دواوينه الشعرية ، ومحاضراته الفلسفية تناول من خلالها السيرة النبوية التي جاءت مبنوثة في ثناياها ، وأولاها العناية التي تستحق . وإن المتتبع لتناول اقبال لأهم أحداث تلك السيرة يتجلى له منهجه الفريد والتميز في ذلك تناول ، إذ جاء مخالفاً لما سار عليه دارسو تلك السيرة قديماً وحديثاً - كما وقعت الإشارة الى ذلك - إذ دأبوا على السرد لمجريات تلك السيرة في تسلسل سرديّ نسقي ، في حين تفرد اقبال في بيان

عرض أهم أحداثها، وذكر الشمائل المحمديّة في قالب بديع ، ونظم فريد ، ومنهج مغاير لسابقه ، فكان اهتمامه بسيرة المصطفى ، وولعه بشمائله الطاهرة وخصاله الطاهرة منقطع النظير .

وإن المقام يدفع الى تتبع عرض إقبال لأهم أحداث تلك السيرة النبوية للوقوف على طبيعة ذلك العرض المتفرد بدء من مولده النبوي الشريف الى ارتقائه الى جوار ربه.

المولد النبوي الشريف والبعثة المحمديّة :

اهتم دارسو السيرة النبوية الشريفة بأحداثها المفصلية اهتماما كبيرا ، وتناولوا أحداثها تناولا يليق بالحضرة المحمدية ، وعرضوا للأحداث التي رافقت مولده صلى الله عليه وسلم ، وما اصطلح عليه بدلائل النبوة قبل البعثة وبعدها ، إذ من المعلوم ان الله سبحانه أرسل نبيه الكريم رسولا لهم ، ورحمة للعالمين حريصا عليهم، جاءهم بلسانهم وبما يفهمونه ، وبين سبحانه الغاية من تلك البعثة والحكمة ، التأسّي والافتداء والإتباع كما جاء في محكم تنزيله قوله تعالى :

- " ولقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عندتم ، حريص عليكم وبالمؤمنين رؤوف رحيم" ²¹

- وقوله سبحانه : " وما أرسلناك الا رحمة للعالمين " ²²،

- وقوله جل شأنه : " لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا " ²³.

- وقوله جل وعلا : " يا أيها النبي انا ارسلناك شاهدا وبشيرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا" ²⁴

²¹ - التوبة 128 . / Qur'ān, Al-Tawbah 128.

²² - الأحزاب 40 . / Qur'ān, Al-Aḥzāb 40.

²³ - الأحزاب 46 . / Qur'ān, Al-Aḥzāb 46.

²⁴ - المائدة 15-16 . / Qur'ān, Al-Mā'idah 15-16.

- وقوله جلّ جلاله: " قد جاءكم من الله نور ، وكتاب يهدي به الله من اتبع رضوانه وسبيل السلام . ويخرجهم من الظلمات الى النور بإذنه ويهديهم الى صراط مستقيم "
 - هذا ويجد الدارس أن كتب السير والتراجم والتاريخ قد تناقلت عددا من الأخبار والقصص والاحداث التي رافقت مولد الرسول الأعظم ، وقد ورد فيها:
 - إمتلاء الأكوان ببشرى المولد النبوي .
 - نضوب بحيرة ساوى .
 - انقطاع وادي ساوى .
 - وقف ماء بحيرة طبرية .
 - خمود النيران .
 - زلزلة قصر كسرى وهوانه وذّله ، وسقوط التاج على رأسه .
- هذا وذكرت أخبار تلك الحوادث أنّ كسرى هاج وماج ، وعظم كربه ، وسأل عن تلك الأحداث الرهبان والكهان فقيل له : " لقد آن مولد سيد آدم وعدنان ، وهو النبي المرسل ، في آخر الزمان ، المبعوث بالدليل والبرهان ، المنعوت في التوراة والانجيل والفرقان الذي يظهر دينه على سائر الأديان²⁵ .
- وتشير تلك الاخبار أيضا أنه لما كان كسرى يسائل كبار قومه وحاشيته سيما وهم على تلك الحال من الهول والذهان إذ ورد عليهم كتاب " بخمود النيران " ، وكتاب من صاحب إيليا يبين أنّ بحيرة ساوى غاضت ، وكتاب من صاحب الشام يبين أنّ وادي ساوى انقطع ، وكتاب من صاحب طبرية يبين أنه لم يجر فيها ماء .

25 - راجع ما أورد الباحث آية الحَيان حميد بن أحمد آية في مقاله " الإبداع الصوفي المغربي في السيرة النبوية والشمال المحمدية من خلال ذخيرة المحتاج في الصلاة على صاحب اللّواء والتّاج " ، لصاحبه محمد المعطي بن الصّالح الشرقي ، ت1180هـ" من

Ayah Al-Ḥayyān Ḥamīd bin Aḥmad. "Al-Ibdā' al-Ṣūfī al-Maghribī fī al-Sīrah al-Nabawīyyah wa al-Shamā' il al-Muḥammadīyah min Khazīrat al-Muḥtāj fī al-Ṣalāh 'alā Ṣāhib al-Liwā' wa al-Tāj." T1180 AH.

وإن المستطلع لعرض اقبال لتلك الأحداث يجده قد تناولها في غرر شعره في ديوان " الاسرار " مبشرا بالفجر الجديد الذي انبلج نوره بمولد خير البرية ومجئ رسالة الاسلام، ومؤذنا بموت العهد القديم وما صاحبه من احداث جسام. وقد نظم اقبال قائلا :

وأمینا بعث المولى به	سلم الحق الى أصحابه
رفع العبدان بالحق الى	سرر الخاقان والزور قلى
بث في برد الرماد الشعلى	فعلى برويز فرهاد على
سلبت سلطان حزب الأمرین	فسما بالحق قدر العاملين
عزمه هدّ قديمات الصور	وبنى حصنا جديدا للبشر
بث روحا حيت الموتى بها	واقندى الأعبد من أربابها
موت مات به العصر القديم	وبيوت النار والوثن حطيم
أزهر التحرير في روضته	هذه الصهباء من كرمته
عصرنا اللآلى في أنواره	فتح الأعين في أحجاره
خط في العالم سطرا مبدعا	أمة فاتحة قد أبدعا
صدرها من وقدة الحق أضاء	ذرة منها أنارت في ذكاء
أشرق الكون بما إذ يتنى	كعبات من بيوت الوثن
ولدتها الأنبياء القدم	فإذا الأتقى لديها الأكرم
المساواة لديها فترة	ومن التمييز فيها نفرة
نسلها كالسرو حر قد علا	عهدها أحكم من "قالو بلى" ²⁶

²⁶ - إشارة الى الآية : " وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى " ، [الأعراف : 172]

وبثَّ إقبال شكواه لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما ورد في "ديوان الأسرار" من تسلَّط الموت والخوف على أمته، ونسيانها ما بشرَّ به المصطفى من فجر جديد حطَّم به الأصنام القديمة اللات والعزة ومنات، وجدَّد العهد القديم الذي سرى به الهرم، فأصبح الكون ينعم بتباشير الفجر الجديد، وبالإيمان والحنان، والتسبيح والآذان، ويستمد المسلم من كلمة "لا إله إلا الله" التي لقتته إيَّها حرارة العمل والسرور، ونبت الخوف والموت، ويستمد كذلك النور والانتباه في ظلام الليل. وفي هذا الشأن جاء نظم إقبال كما يلي²⁷

عشقه ثار بعود الصَّامت	الف لحن في فؤادي السَّاكت
صورتني قد أوضحت مرآته	أنا صبح إطلعت آياته
إنني البستان في آذاره	في عروقي الماء من أمطاره
كم يريك العشق من صهبائه	فترى التقليد من أسمائه
أحكم العشق بتقليد الحبيب	لتنال القرب من ربِّ مجيب
في جرأ القلب فإقعد خاليا	والى الحقِّ فهاجر راضيا
أقوينَّ بالحقِّ ثم ارجع اليك	وحطَّمن الآت والعزة لديك
قوينَّا بالعشق في سلطانه	وابتغي الجلوة في فارانه
تظفرن بالقرب يا ذا السَّائل	وتكن تفسير "إني جاعل" ²⁸

فالتأمل في تناول إقبال للسيرة النبوية وخاصة فيما يتعلق بمولد خير البرية يلحظ أنه لا يسلك مسلك السرد والحكاية على غرار من سبقه من الشعراء قديما وحديثا، وإنما نراه يستبطن الأمور، ويستنبط من وقائع الأحداث رؤى فريدة ومغايرة للناظمين القدامى، فالمولد

27 - الغوري عبد المجيد، ديوان محمد اقبال، ديوان الأسرار، 1/140-141.

Al-Ghawrī, 'Abd al-Majīd. *Dīwān Muḥammad Iqbal, Dīwān al-Asrār*, 1/140-141.

28 - إشارة إلى الآية الكريمة "إني جاعل في الأرض خليفة" [البقرة: 30].

النبوي في نظر اقبال تبشير بمولد عهد وفجر جديد ، وإعلان لموت العهد القديم كما جاء في آياته السابقة ، وهو إعلان لهدم الأوثان والأصنام ، ودعوة الى الحرية ، ونبذ الشرك وإعلان التوحيد، فمنهجها ايجائي وجداني استبطاني يستباطي يعتمد الإشارة والتلميح في قصائده ليوظف ذلك في خدمة أمة خير الأنام الذي عاش طوال حياته مهتماً بها ، ومهموماً بأوضاعها ، وداعياً الى تذكيرها بأمجادها ، وتحفيزها للنهوض من جديد كما تضمنته الأبيات التالية :²⁹

ألم يبعث لأمتكم نبيّ	يوحدكم على نهج الوثام
ومصحفكم وقبلتكم جميعاً	منار للأخوة والسلام
وفوق الكلّ رحمان رحيم	إلاه واحد ربّ الأنام
فما لنهار ألفتكم تولّى	وأمسيتم حيارى في الظلام
وحسن اللؤلؤ المكنون	رهن يسوغ العقد في حسن النظام
وكيف تغيرت بكم الليالي	وكيف تفرقت بكم الاماني
تركت دين أحمد ثمّ عدت	ضحايا للهواء أو للهواني
رقي الشعب قد أضحي لديكم	تقررهم صلاحية الزمان
أرى نارا قد انقلبت رمادا	سوى ظل مريض من دخان

ولكن اقبال رغم شكواه وتبرمه بواقع أمته ، وبعدها عن دين أحمد ، وركونها للواقع الأليم الجديد ، لم يفقد الأمل في أبناء أمته ، وما يمكن أن ينبعث فيهم من وعي بحاضرهم ، وتوق الى إعادة أجدادهم ، وتحرّره مما هم فيه من سكون واستسلام ، وضعف وهوان كما ضمّن ذلك في أبيات كما يلي:³⁰

فكم زالت رياض من رباها وكم بادت نخيل من البوادي

²⁹ - الأعلام الخمسة للشعر الإسلامي ، مرجع سابق ، ص 126.

Al-A 'lām al-Khamsah lil-Shi 'r al-Islāmī, ibid., pp. 126, 129.

³⁰ - المرجع نفسه ص 129 / P129. Ibid.

ولكن نخلة الإسلام تنمو
وعلى مر العواصف والعوادي
ومجدك في حمى الإسلام باق
بقاء الشمس والسبع الشداد

ويطرد منهج اقبال في عرضه لأحداث السيرة النبوية دون سرد أو حكاية ، ويتجلى ذلك في عناوين دواوينه الشعرية ، ويربط بعضها بمحادثة نزول الوحي كما هو الحال في ديوانه " صلصلة الجرس " في اللغة الأردنية ، وهو متعلق بتزول الوحي على النبي صلى الله عليه وسلم إشارة الى جوابه للصحابة عند تساؤلهم عن كيفية نزول ذلك الوحي ، وإجابته لهم بأنه " يأتيني على شكل صلصلة الجرس " وفي ذلك استنباط لمصطلحات مرتبطة بأحداث السيرة العطرة ، ويرد ذلك في أكثر من موطن من دواوينه.

وإن مصطلح الجرس يرد في أشعار اقبال مرارا وتكرارا كما أشارت الى ذلك الباحثة الألمانية آن ماري شيمل SCHIMMEL (ت 2003) ، التي لاحظت أن اقبال يشبه نفسه في نظمه بجرس القافلة التي تسلك الصحراء في طريقها نحو الكعبة³¹ ، ويقارن بين دوره القيادي شاعرا في المجتمع ، وحادي القافلة الذي يحنّها على المسير في الطريق ، فضلا عن مقارنة دوره بدور النبي موسى عليه السلام الذي قاد شعبه ، والذي فجر الماء عند ضربه للصخور³² ، واستوحى من ذلك عنوان ديوانه " ضرب الكليم " كما ورد في البيتين التاليين³³:

فطرة الحرّ لا تطيق مقاما
فألف السير دائما كالنسيم
ألف عين تشقّ صخر كفاضرب
بعد غوص في الذات "ضرب الكليم"

القرآن الكريم (الوحي)

31 - راجع ما أورده الباحثة الألمانية آن ماري شيمل في مقالها " إقبال " بدائرة المعارف الإسلامية ، الطبعة الفرنسية، مجلد 3. EI , T3, Misonneuve , Paris 1975, P 1084

An-Māri Schimmel. "Iqbal," in *Encyclopédie Islamique*, French edition, vol. 3, Misonneuve, Paris 1975, p. 1084.

32 - المرجع نفسه / Ibid

33 - إقبال محمد ، ديوان ضرب الكليم ، ترجمه عن الأوردية د. عزام عبد الوهاب ، مطبعة مصر ، ط1 مصر القاهرة، 1952 ص2. Iqbal, Muhammad. *Dīwān Ḍarb al-Kalīm*, translated from Urdu by 'Azzām 'Abd al-Wahhāb. Cairo, Egypt: Maṭba'ah Miṣr, 1st ed., 1952, p. 2.

إستمد اقبال أفكاره من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة ودراسته الفلسفة في الغرب، فضلا عن تنشأته العائليّة، وتربيته في كنف أسرة يغلب عليها الايمان والتقوى والتصوف ، وهذا ما عكسته دواوينه الشعريّة التي تخلّلتها مصطلحات صوفيّة اسلاميّة بعيدة كلّ البعد والسطحيّة قائمة على الرّمز والايحائيّة ، فضلا عن الاستنباطات العقليّة ، والفضل يعود في كل ذلك الى القرآن الكريم الذي حفظه كما نزل عليه ، بحسب نصيحة والده ، والذي قال في شأنه " ومنذ ذلك اليوم بدأت أتفهم القرآن، وأقبل عليه ، فكان من أنواره ما اقتبست ، ومن درره ما نظمت "34 .

فالقرآن الكريم معجزة الرسول الخالدة ومصدر الشريعة المحمّدية والتي لا تنتظم الأمة الإسلامية الا به كما يذهب الى ذلك اقبال في ديوان " رموز نفي الذات " حين يقول نثرا : " فوجود المسلم يتقوم بالشرية ، وباطن دين النبي صلى الله عليه وسلّم هو هذا القرآن وحسب، فالقرآن الكريم هو ذلك الكتاب الحي حكّمته التي لا تزال ، فهو نسخة من أسرار الحياة ، يستمد الثبات من قوته من لا ثبات له ، وحرفه لا ريب فيه ولا تبديل "35 ، وآياته لا يقلل من شأنها تأويل إنّ آخر رسالة الى الجنس البشري ، حامله رحمة للعالمين "36 ، والمسلمون أحياء بشرية واحدة وجسد الأمة حي بالقرآن الكريم، فكأننا تراب ، وهو قلبنا المدرك، فاعتصم به فهو (حبل الله) "37 . فلننتظم في سلكه مثل الجواهر ، وإلاّ فلننتشر مثل الغبار "38 .

وضم ديوان الرموز " رموز نفي الذات " ، ما أكّده اقبال من أنّ الأمة المحمّدية لا تنتظم بغير شريعة، وشريعة الأمة القرآن ، حيث نظم إقبال في هذا الشأن ما يلي "39 :

34 - الشيخ الندوي أبو الحسن ، مرجع سابق ، ص 52.

Al-Nadwī, Abū al-Ḥasan, ibid., p. 52.

35 - الغوري عبد المجيد ، ديوان محمد اقبال ، نفي الرموز ، 1/ 214.

Al-Ghawrī, 'Abd al-Majīd. *Dīwān Muḥammad Iqbal, Nafy al-Rumūz*, 1/214–219.

36 - المرجع نفسه ص 215 / 215 . Ibid.

37 - المرجع نفسه/ Ibid.

38 - المرجع نفسه ص 218 / 218 . Ibid.

39 - الغوري عبد المجيد ، ديوان محمد اقبال ، نفي الرموز ، 1/ 214 – 219.

أمّة خلّت يداها السنن
سيرة المسلم شرع وكفى
صاح هل تعلم ما سنتكا؟
الكتاب الحي والذكر الحكيم
إن فيه سر تكوين الحياة
لفظه لا ريب أو تبديل فيه
قوة فيه تشد الخور
ذا بلاغ آخر للمرسلين
ذلك ينبوع من آمالنا
وحدة الشرع حياة الأمة
نحن طين وهو قلب لاجرم
فانتظم في سلكه كالدرر

ككتيب من رمال وها
ذلكم باطن دين المصطفى
أي سرّ ضمنت قدرتك
حكمة في الدهر لا تريم
يستمدّ النكس أبدا من قواه
آية لا لبس أو تأويل فيه
وبها يرمي الزجاج الحجر
قد تلاه رحمة للعالمين
قد حواه الصدر من أطفالنا
فمن القرآن روح الملة
هو (حبل الله) من شاء اعتصم
أو غبار في الرياح انتشر

ومّا تجدر ملاحظته أن إقبال اقتبس الكثير من درر القرآن إذ قلّ أن تجد صفحة أو بيتا خاليا من ذكر آية من آبي الذكر الحكيم ، من مثل قوله تعالى : " قالو بلى " ، وقوله : " واعتصموا بحبل الله " ، وقوله سبحانه : " لا تخف " ، وقوله جلّ وعلا : " رحمة للعالمين... " وكذلك الشأن بالنسبة للسنّة النبويّة الشريفة التي يستدل بها إقبال في نظمه من مثل قوله صلى الله عليه وسلم : " لا نبي بعدي " ⁴⁰ ، وقوله : " لا قوم بعدي " ⁴¹ ... فشعر اقبال مستلهم من القرآن الكريم ، من مثل قوله في البيتين التاليين ⁴² :

Al-Ghawrī, 'Abd al-Majīd. *Dīwān Muḥammad Iqbal, Nafy al-Rumūz*, 1/214–219.

⁴⁰ - المرجع نفسه 2/203. / Ibid. V2, P203.

⁴¹ - المرجع نفسه. / Ibid.

⁴² - د. المصري حسين مجيب ، إقبال والقرآن ، دراسة قرآنية مقارنة، مكتبة الأنجلو المصرية ، ط1 ، القاهرة مصر ، ص 161.

لك القرآن كالمرآة فانصب
وإنفسك دع إذا غيرت واهرب
لما قدمت ميزان لتصنع
وفي الماضي قيامات لتطلب

وكثيرا ما كان اقبال معجبا شديد الاعجاب بكل من يجعل القرآن الكريم مرشدا واماما في حياته، مستعرضا في أبيات له إعجابه بقصة شرف النساء التي دأبت على قراءة القرآن الكريم في حياتها ، كما أورد ذلك في كتابه جاويد نامه "رسالة الخلود" قائلا⁴³:

تقرأ القرآن نفسا طهرت
برهة في تركه ما فكرت
تحمل المصحف والسيف الحسام
أنها السكرى وما ذاقت مدام
خلوة سيف وقرآن الصلاة
حبذا عمر تقضى في الطقات
آخر الأنفاس وهي تحظر
أمها خصت بملتناح النظر
ثم قالت ان عرفتي الآن سري
شاهدي ما في يدي أو ما بخصري
قوتان بهما أيد الثبات
محورا كان لدوم الكائنات
قبل موتي ذاك منك مطلبي
مصحفي والسيف مني قربي
كل هذا من كلامي فلتعي
لا تزييني في التراب مضجعي
الكتاب والحسام حسينا
بهما يزدان حقاً قبرنا

وإن اهتمام اقبال بالقرآن الكريم انعكس في أغلب دواوينه الشعرية التي جاءت زاخرة بآبي الذكر الحكيم، وبقصصه حتى أنه قام بنظم تفسير كامل لسورة "الإخلاص" في نهاية منظومة " الأسرار والرموز " ، إذ جعل عنوانا مستقلا لكل اية من آياتها ، وفسرها بأسلوب شعري جذاب ،

Dr. al-Miṣrī, Ḥusayn Muḥib. *Iqbal wa al-Qur'ān: Dirāsah Qur'āniyyah Muqāranah*. Cairo, Egypt: Maktabat al-Anglo al-Miṣrīyah, 1st ed., p. 161.

⁴³ - اقبال والقرآن ، مرجع سابق ، ص 160-161. / Ibid. PP 160-161.

دون تغيير لكلام الله ، ساعيا الى بيان مدلوله، متناولا كل آية من آيات الإخلاص على حده ، وإن ما قام به يعد استلهاما لمعاني الوحي العظيم لا تفسيراً بالمعنى الحقيقي للتفسير كل ذلك يبرز كيف ملك القرآن قلب اقبال ووجدانه وعقله . فكان من أنواره ما اقتبس ، ومن درره ما نظم.

الهجرة :

مكث الرسول الأعظم محمد صلى الله عليه وسلم بمكة من البعثة الى الهجرة يقاوم الجهالة ، ويفتح البصائر ، ويلاقي ما يلاقي من عنق قريش ، فقرّر الهجرة الى (يثرب) المدينة من أجل اعلاء كلمة الله، مغادرا الموطن والأهل والمال ، فكانت هجرته هجرة فريدة سعيا لنشر الدعوة ، ولم تكن فرارا وهجرا. خرج الرسول من مكة وقد أنجاه الله من كيد أعدائه ، وقد رافقه في رحلته الطويلة (خليله أبو بكر الصديق رضي الله عنه) فالتجأ الى غار ثور ، حيث نزل قوله سبحانه : " إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين إذ هما في الغار ، إذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا ، فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها ، وجعل كلمة الذين كفروا السفلى ، وكلمة الله هي العليا والله عزيز حكيم "44 وصل الرسول صلى الله عليه وسلم و خليله أبو بكر الى المدينة ففرح المسلمون بذلك فرحا شديدا، وكانت بنات الأنصار تنشدنا في سرور ونشوة ما يلي:

طلع البدر علينا	من ثنایات الوداع
وجب الشكر علينا	ما دعا الله داع
أيها المبعوث فينا	جئت بالأمر المطاع ⁴⁵

44 - النبوة : 40 ./. Qur'ān, Al-Tauba 35.

45 - الشيخ الندوي أبو الحسن ، السيرة النبوية مزيدة ومنقحة ، دار الشروق للنشر والتوزيع والطباعة ، ط1 ، حدة ، السعودية ، 1410هـ - 1989م ، ص 196.

Al-Nadwī, Abū al-Ḥasan. *Al-Sīrah al-Nabawīyah Mazīdah wa Munqahah*. Jeddah, Saudi Arabia: Dār al-Shurūq, 1st ed., 1410 AH / 1989 CE, p. 196.

فكانت تلك الهجرة حدثاً تاريخياً فريداً ، إذ أرسى المصطفى صلوات الله عليه مجتمعاً مسلماً متجانساً ، وأسس دولة قائمة على التوحيد ، والعدل ، و الاخاء ، والحريّة ، والمساواة ، وأنشأ حضارة قائمة على الايمان والعلم والعمل ، وهناك نما الإسلام وترعرع وازهر وأثمر ، وتم له مجده وسلطانه ، وانتصرت مبادئه وشريعته ، وقد سجل المؤرخون آثار ذلك الحدث العظيم ، وتبارى الشعراء في نظم قصائدهم مشيدين بالحدث التاريخي المميز ، وما انجر عنه من آثار قطفت ثمارها الانسانية قاطبة.

وفي هذا السياق أشاد إقبال بالهجرة المصطفوية في ديوان نفي الرموز " رموز نفي الذات " معتبراً ايها هجرة خير وبركة لا هجرة خوف وفرار ، كما إدعى المغرضون ، وذلك حين قال :⁴⁶ "

حصل القلب ففي وسعته	ضلّ هذا الكون في فسحته
عقدة الأقوات حلّ المسلم	هجر الدار الامام الأعظم
أمة ملئ الدنيا قد أسسا	جعل التوحيد فيها أسسا
صارت الأرض لدينا مسجدا	إذ أشاع الفضل فينا وهدى
ذاك المحمود في الذكر الحكيم	ذلك المحفوظ بالله الرحيم
تفرع الأعداء من هيئته	في ارتعاد من سنى طلعتة
فلماذا أرض أهليه هجر ؟	أتراه خشية الأعداء فرا ؟
حجب القصاص معنى القصة	غلطوا في فهم معنى الهجرة
هجرة شرع حياة المسلم	هجرة سرّ ثبات المسلم
إنّها التسيار نحو الوسعة	ولأجل اليمّ ترك القطرة

الفتح :

انتصر الإسلام بعد الهجرة النبوية المباركة ، وانتشرت دعوته في الآفاق ، وكسب المسلمون بعد ذلك عزّة بعد ذلّة ، وقوة بعد ضعف ، وكثرة بعد قلّة ، وتكوّن مجتمع آمن ومطمئن كما وعد الله

⁴⁶ - الغوري عبد المجيد، ديوان محمد اقبال ، نفي الرموز، مرجع سابق ، 1 / 209.

بذلك في قوله : " وعد الله الذين آمن منكم ، وعملوا الصالحات ليستخلفنكم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم ، وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم ، وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا"⁴⁷. وبعد ثمانية أعوام من الهجرة النبوية المباركة عاد الرسول الأكرم الى مكة المكرمة في جيش قوامه عشرة آلاف مقاتل، وقد عهد الى أمراءه من المسلمين أن يدخلوا مكة وأن لا يقاتلوا الا من قاتلهم ، ...

وعند باب الكعبة قام رسول الله في يوم ذلك الفتح كما أورد ابن إسحاق في سيرته فقال : " لا اله الا الله وحده لا شريك له ، صدق وعده ، ونصر عبده ، وهزم الأحزاب وحده ... ، يا معشر قريش إن الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية ، يا معشر قريش ما تروني إني فاعل بكم ، قالوا خيرا ، أخ كريم ، وابن أخ كريم ، قال : " إذهبوا فانتم الطلقاء"⁴⁸، وفي رواية أخرى قال لهم : " اقول لكم مثلما قال يوسف لآخوته : لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم ، وهو أرحم الراحمين " ⁴⁹ .

فالرسول لما حل بمكة فاتحا ، دخل متواضعا لا متعاليا ، فطهر هو ومن معه الحرم من الأوثان و الأصنام ، وطاف صلوات الله عليه بالبيت وحوله ثلاث مائة وستون صنما فجعل يطعنهما بالقوس في يده ، ويردد قوله تعالى : " جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا"⁵⁰. وكانت الأصنام تتساقط على وجوهها "⁵¹.

هذا وقد خرج عدد من المشركين الى رسول الله صلوات الله عليه ليستأمنوه قبل أن يدخل مكة كما رأى النبي المصطفى الصور والتمثيل في الكعبة فأمر بالصور وبالتمثيل فكسرت.

فكان فتح مكة نصرا عظيما للإسلام ، بصريح محكم تزييله تعالى : " إذا جاء نصر الله والفتح ، ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواج " ⁵² ، فكان هذا الفتح فتحا مبينا ، وأمرأ جلالا حرص فيه خير البرية على أمن الناس وحفظ دمائهم و اموالهم ، وإصلاح أموالهم ، فكان مثالا للرفق والصفح والتسامح، وكان درسا من

47 - النور : 35 . / Qur'ān, Al-Nūr 35.

48 - ابن حجر العسقلاني ، فتح الباري في شرح صحيح البخاري ، المجلد الثامن ، كتاب المغازي.

Ibn Hajar al-ʿAsqalānī. *Fath al-Bārī fī Sharḥ Ṣaḥīḥ al-Bukhārī*, vol. 8, Kitāb al-Maghāzī.

49 - يوسف : 92 / Qur'ān, Yūsuf 92.

50 - الاسراء : 81 / Qur'ān, Al-Isrā' 81.

51 - الشيخ الندوي أبو الحسن، السيرة النبوية ، مصدر سابق ، ص 337.

Al-Nadwī, Abū al-Ḥasan. *Al-Sīrah al-Nabawīyyah*, ibid., p. 337.

52 - النصر : 1-2 / Qur'ān, Al-Naṣr 1-2.

دروس سيرة الرسول الأكرم وسنته في نبد العنف ، والعفو عن من ظلمه وأخرجته وصحبه ظلما وعدوانا ، وعدم الأخذ بالثأر تأكيدا لقوله تعالى : " وما أرسلناك الا رحمة للعالمين"⁵³.

وفي هذا السياق نظم اقبال شعرا خلد فيه عظمة يوم الفتح ، وصفح الرسول الأكرم ، وعفوه عن ظالميه حين أورد في ديوان الأسرار ما يلي:⁵⁴

هو في الدنيا علينا ساتر
لطفه والفهر كل رحمة
وهو في الحشر الينا ناظر
لصديق وعدو رأفة
ويوم الفتح هذا الغافر
قال " لا تثريب " هو القادر

المعراج (معراج النبي صلى الله عليه وسلم):

اصطفى الله سبحانه النبي محمد صلى الله عليه وسلم ، وخصه بخصائص عديدة وفضائل متنوعة فاق بها الأولين والآخرين ، فمن خصائصه العظيمة وآياته البينة خبر الإسراء به صلوات الله عليه من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى أولا ، ثم العروج به الى السماء ثانيا ، تلك الرحلة العجيبة والمعجزة الخالدة كما ورد في محكم التنزيل : " سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا انه السميع البصير " ⁵⁵.

وان هذه الحادثة المعجزة تبرز القدرة الالهية الخالقة لهذا الكون الكبير والقادرة على حمل بشر الى عالم السماء ، واعادته الى الأرض في رحلة ربانية معجزة لا يدرك كیفيتها بشر ، فضلا عن إطلاع المولى سبحانه رسول في هذه الليلة الغراء على آيات كونية تبرز ما في الكون من عظمة وجلال .

والاسراء والمعراج يعد رمزا الى وحدة الأنبياء ورحلة الرسالات السماوية الداعية الى التوحيد ، ونشر الفضيلة والخير بين الناس ، وفي هذا إشارة الى ان جميع الأنبياء على وفاق ووثام ما اتوا الا لتبليغ الدين الحق ، وشرعية المولى الذي أرسلهم بالهدى ، الأمر الذي يستوجب على متبعيهم أن يتأسوا بهم ، وأن يقتفوا سنة

⁵³ - الأنبياء : 107 / 107 . Qur'ān, Al-Anbiyā'

⁵⁴ - الغوري عبد المجيد ، ديوان محمد اقبال ، مرجع سابق، 139/1.

Al-Ghawrī, 'Abd al-Majīd. *Dīwān Muḥammad Iqbal*, ibid., 1/133–134.

⁵⁵ - الاسراء : 1 / 1 . Qur'ān, Al-Isrā'

رسلهم ، وأن يجعلوا أمرهم بينهم سلماً بصريح محكم التّرتيل : " شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا ، والذي أوحينا إليك ما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه"⁵⁶ وإن المستطلع لرأي إقبال في قصّة الإسراء والمعراج يجده يعتقد اعتقاداً لا لبس فيه في صحة تلك الأخبار الواردة في شأن معراج النبي الأكرم كما ورد في الآية الكريمة السابقة ، الأمر الذي أدّى به الى تأليف ديوانه الشهير " جاويد نامه " (رسالة الخلود) ، فلقد تأثر إقبال " معنوياً وفتياً " بمعراج النبي الكريم ، وقد ترعرعت هذه الفكرة في وجدانه تحت ظلال حبه القوي للمصطفى صلى الله عليه وسلم ، وهو حب ملك عليه فؤاده ، وأفصح عنه في عديد من أشعاره وخطاباته .

وقد تجلّى حبّ إقبال للنبي بوضوح في ديوان رسالة الخلود ، فقد تأثر الشاعر في معراجه ، وفي رحلته الخيالية هذه الى الحضرة الالهية بمعراج الرسول صلى الله عليه وسلم⁵⁷ لكي يصل الى التحليلات والصفات الالهية .

وقد طاف اقبال في رحلته هذه ، وعرج الى الأفلاك وما ورائها بدءاً بالقمر ، فعطارد ، فالزهرة فالمرخ ، فالمشتري ، فزحل .

فلقد عاد اقبال من رحلته الى الأفلاك وما ورائها تشبّهاً بعودة النبي الكريم من معراجه الى السموات العلا ليتصل بالناس وبالأرض ، وليؤدّي رسالته .

طرح اقبال في رحلته هذه قضايا دينية وفلسفية ، وطرح أسئلة عديدة على الشخصيات الذين قابلهم في تلك الأفلاك ، وشرح اقبال أطوار تلك الرحلة في ديوانه ، وشرح معنى الحياة ، ومعنى المعراج وفق الطريقة الصوفيّة ، فقال في شرح معنى الحياة " ان الحياة هي الوصول الى معرفة النفس ، وأن يرى الإنسان ذاته من غير حجاب ، ويستدل بما فعله النبي صلى الله عليه وسلم الذي لم يرضى الا أن يعرف حقيقة ذاته "⁵⁸ ، ويقول إقبال في حقيقة المعراج " إنه التّمني بالشهود ، واختبار قدرات الذات امام الشهود

⁵⁶ - الشورى : 13. / Qur'ān, Al-Shūrā 13.

⁵⁷ - د . جمال الدين محمد السعيد ، رسالة الخلود أو جاويد نامه للشاعر اقبال ، ترجمها عن الفارسيّة وشرحها وعلّق عليها . جامعة عين شمس ، القاهرة ، مصر 1974م ، ص 26-27.

Jamāl al-Dīn Muḥammad al-Sa'īd. *Risālat al-Khulūd (Jāvid Nāmāh) lil-Shā'ir Iqbal*, translated and annotated from Persian. Cairo: Ain Shams University, 1974, pp. 26–27, 57.

⁵⁸ - الغوري عبد المجيد ، ديوان محمد اقبال ، مرجع سابق ، 1/ 133-134.

، وحياتنا من غير الشهود لا قيمة لها . إنَّها من غيرها كتلك الورود والزهور التي لا تحمل الألوان والروائح الطيبة " 59 .

ويصرِّح اقبال انه تعلم هذا الدرس من معراج النبي المصطفى ، وأن السماوات تحت تصرف البشر الذي يسكن في هذا العالم البشري⁶⁰، وأن النبي محمد صلى الله عليه وسلم كان من البشر، ولكنه قد وصل الى السماوات العلا .

ويستنتج اقبال أن الانسان يمكن أن يصل الى ما وراء هذا الكون من الأفلاك والقمر والنجوم⁶¹، وأن الانسان بإيمانه القوي ، وبعبوديته يستطيع أن يتقرب الى العرش ، ويصبح محبوب الله تعالى⁶².

تشرب اقبال روح القرآن والسنة والسيرة النبوية العطرة ، فضلا عن التزعة الصوفية الايجابية التي جعلته رائدا من رواد الإصلاح والتجديد ، وأن تسير حياته في خطين متلازمين ، متمثلين في نشر فكره وفلسفته وأشعاره ، ثم السعي الى تحرير بلاده وبلاد المسلمين من ظلم الاحتلال الغربي ، وأن يحول فكره الإصلاحية والتجديدي الى فعل وعمل ثوري يحث من خلاله بني وطنه في شبه القارة الهندية خاصة، وفي أقطار المسلمين عامة على الحرية والتحرر ، وتحرير الأوطان ، والنهوض والانفتاح على الآخر ، والبناء الحضاري الذي هم به جديرون ، ولاحظ أن كل حياة لا تجديدها فيها ، ولا قوة، ولا ثورة هي أشبه بالموت ، وأن الكدَّ والجدَّ والكفاح هو روح حياة الأمم.

Al-Ghawrī, 'Abd al-Majīd. *Dīwān Muḥammad Iqbal*, ibid., vol. 1, pp. 133–134.

59 - د جمال الدين محمد السعيد ، رسالة الخلود ، مرجع سابق ، ص 57 .

Jamāl al-Dīn Muḥammad al-Sa'īd. *Risālat al-Khulūd*, ibid., p. 57.

60 - مرجع سابق. / Ibid.

61 - راجع ما ورد في مقال " مدح الرسول الأكرم ورسائله صلى الله عليه وسلم في شعر محمد اقبال" ، ص 10.

See the article: "Madḥ al-Rasūl al-Akram wa Risālatuhu ﷺ fi Shi'r Muḥammad Iqbal," p. 10.

62 - المرجع نفسه ص 11. / Ibid. P11.